الباب الثالث

نظرية ابن جرير الطبرى عن ذى القرنين فى تفسيره "جامع البيان فى تفسيىر القرآن " و المؤرخين

الفصل الأول : التعريف بابن جرير الطبرى و تفسيره

أ- ترجمة الطبرى

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى.[31] ولد عام 224 ه،[32] أو أوائل عام 225 ه بآمل عاصمة طبرستان من مدن محافظة مازندران الايرانية.[33]

نشأ الطبرى فى بيت علم و بيئة دينية، حرص على حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وكان مصليا به الناس و كاتبا للحديث و عمره لم يتجاوز تسع سنين.[34] كان عارفا بالقراءات، بصيرا بالمعانى، فقيها فى أحكام القرآن، عالما بالسنة و طرقها، وصحيحها و سقيمها

---

[31] السيد محمد على ايازى، *المفسرون حياتهم و منهجهم* (تهران: مؤسسة الطباعة و ال ارت الثقافة و الارشاد الاسلامى، بدون السنة) ص. 0

[32] على عبد القادر، ز *اغبين فى مناهج المفسرين* (القاهرة: بدون المطبعة، 36 ص. 45

[33] على ايازى، *المفسرون* ___________، ص. 400

[34] نفس المرجع

وناسخها و منسوخها.[35] رحل فى طلب العلم إلى الري و البصرة و الكوفة و بغداد و الشام و مصر[36]. كان الطبرى فى أوائل امره شافعيا فى الفقه، ثم استقل فى الرأي و اجتهد فى الفقه حتى صار فقيها مستقلا، قد بنى مذهبا يسمى ب "الجريرية".[37]

توفى ببغداد ليومين بقيا من شوال سنة 310 ه، وقد صلى على قبره عدة من العلماء ورثاه خلق كثير، ودفن فى داره.[38]

---

[35] نفس المرجع

[36] تمام كمال موسى الشاعر، *منهج الامام ابن جرير الطبرى فى الترجيح بين أقوال المفسرين* (الأطروحة لنيل درجة الماجستير فى اصول الدين بكلية الدراسات العليا فى جامعة النجاح الوطنية فى نابلس فلسطين، 2004) ص. 7

[37] على ايازى، *المفسرون* ___________، ص. 400

[38] نفس المرجع

ب- مؤلفاته

لم يوجد بيان عن عدد مؤلفاته قطعيا، ولكن نعلم أن له مؤلفات عديدة محيطة أنواع المجال العلمى، و من أهم مؤلفاته:[39]

1-تاريخ الأمم و الملوك المشهور ب "تاريخ الطبرى"، فى مجال التاريخ

2-اختلاف الفقهاء، فى مجال الفقه

3-تهذيب الأثار، فى مجال التاريخ

4-كتاب القراءات، فى مجال علوم القرآن

5-جامع البيان المشهور ب "تفسير الطبرى"، فى مجال التفسير، الذى نحن بصدد تعريفه.

6-المسند المجرد، فى مجال الحديث[40]

---

39 نفس المرجع

40 Dosen Tafsir Hadis Fakultas Ushuluddin UIN Sunan Kalijaga Yogyakarta، *Studi Kitab Tafsir* (يوكياكرتا: تراس، 2004) ص. 25

7-فضائل على بن ابى طالب، فى مجال علم الكلام[41]

ج- تفسيره "جامع البيان فى تفسير القرآن"

يعد التفسير من أشهر تفاسير القرآن، بل هو أم التفاسير و بداية لنهضة تفسيرية رائعة، و فتح للعلماء أبوابا واسعة فى أساليبه المتقنة، و من أجلّ التفاسير بالمأثور، لأن التفاسير قبل ابن جرير لايذكر فيها الا الروايات فقط من غير ان يذكروا من عندهم شيئا، حتى جاء الطبرى فزاد توجيه الأقوال، و ترجيح بعضها على بعض، و ذكر الأعاريب

---

[41] نفس المرجع

و الاستنباطات، واستشهد بأشعار العرب على معانى الألفاظ.[42]

وأما منهج الطبرى فى التفسير، فإنه فسّر جميع آيات القرآن الكريم ولم يغادر آية منه، فبدأ بذكر اسم السورة باسمها، وروى ما كان لها من اسماء ان روى لها اكثر من اسم، و بيان سبب نزول السورة او الآية ان روي لها رواية، ولا يذكر ان السورة او الآية مكية أو مدنية، بل بعد ذلك يبدأ بتفسير آياتها، ولا يترك آية إلا و ذكر ما روي فى تفسيرها عن الرسول صلى الله عليه واله، او عن الصحابة و التابعين.[43]

---

[42] على ايازى، *المفسرون* ___________، ص. 401
[43] نفس المرجع، ص. 402

و من منهجه فى نقل الرواية، إسناد الاثر الى الرسول صلى الله عليه و سلم او الى ما انتهى اليه السند، و إذا كانت هناك رواية لا يرتضى سندها، أعرض عنها وذكر أنها "معلولة"، و يعقب الاقوال جميعا بذكر الرأي الذى يرجحه، او يجمع بين الاراء. ولهذا ليس منهجه فى التفسير منهج المحدث الذى يجمع الآثار من دون ترجيح و بيان رأي.[44]

قال الذهبى حول منهج الطبرى : إنه اذا اراد ان يفسر الآية من القرآن يقول: "القول فى تأويل قوله كذا و كذا"، ثم يفسر الآية، و يستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده الى الصحابة، او التابعين من تفسير المأثور عنهم فى هذه

---

[44] نفس المرجع

الآية. واذا كان فى الآية قولان او اكثر فإنه يعرض لكل ما قيل فيها، و يستشهد على كل قول بما يرويه فى ذلك عن الصحابة و التابعين. ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال، و يرجح بعضها على بعض، كما نجده يتعرض لناحية الإعراب إن داعت الحال الى ذلك، كما أنه يستنبط الاحكام التى يمكن ان تؤخذ من الآية، مع توجيه الأدلة و ترجيح ما يختار.[45]

و من منهجه اذا لم يجد نصا صحيحا عنده، ورد فى تفسير الآية، و اجتهد فى تأويلها وفق ما تقتضيه اللغة، متتبعا فى ذلك وجوه القراءات، مرجحا قراءة على قراءة، وهو يجمع فى تفسير الآية على

[45] نفس المرجع، ص. 403

ما وقف عليه من الروايات فى القراءات، فيذكر بأسانيدها فى ترتيب عجيب قد طال فى ذلك من غير داع يقتضيه.[46]

ثم هو يخاصم بقوة أصحاب الرأي المستقلين فى التفكير، ولا يزال يشدد فى ضرورة الرجوع الى العلم الراجع الى الصحابة او التابعين و المنقول عنهم نقلا صحيحا مستفيضا، و يرى أن ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح.[47]

ويعتمد الطبرى فى تفسيره للآيات على التحليل اللغوي للألفاظ، فيذكر اصول اشتقاقها وعرف استعمالها، ودلالاتها على المعانى فى مواضعها من الجمل، وهو يراعى

[46] نفس المرجع
[47] نفس المرجع

عند استنباط المعانى صلة الآية بما قبلها و مناسبة المعانى بعضها ببعض.[48]

وأما موقفه من الاخبار الإسرائيلية و الموضوعة، فإنه يكثر فى نقلها، من دون اشارة الى ضعفها. قال الشيخ أبو شهبة فى ذلك: وما أخذ على تفسير ابن جرير، أنه يذكر الروايات من غير بيان و تمييز لصحيحها من ضعيفها، و الظاهر أنه من المحدثين الذين يرون ان ذكر السنة ولو لم ينص على درجة الرواية، يخلى المؤلف عن المؤاخذة و التبعة. ولم يسلم تفسير ابن جرير على جلالة مؤلفه من الروايات الواهية و المنكرة، والضعيفة و الإسرائيليات، وذلك مثل: ما ذكره من حديث الفتون، وفى قصص

[48] نفس المرجع، ص. 404

الأنبياء، وما ذكره فى قصة زواج النبى صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب بنت جحش، على ما يرويها القصاص و المبطلون، وان كان ذكر الرواية الصحيحة.[49]

والخلاصة من ذلك كله هى قد كان تفسير الطبرى صورة متكاملة لثقافة عصره كلها، حيث حوى الحديث والأثر والتفسير والقراءات واللغة والنحو والشعر والفقه وذلك فى منهج عبقري.[50]

الفصل الثانى : رأي ابن جرير الطبرى عن ذى القرنين فى تفسيره

---

[49] نفس المرجع
[50] نفس المرجع

حينما يفسر عن ذى القرنين يبدأ الطبرى بمعانى مفردات هذه الآية ، قال الطبرى فى تفسيره: القول فى تأويل قوله تعالى: وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذي القرنين ما كان شأنه، وما كانت قصته، فقل لهم: سأتلو عليكم من خبره ذكرا. يقول: سأقصّ عليكم منه خبرا.[51]

ثم يذكر عن أنواع الروايات هل سائلون عن أمر ذى القرنين كانوا قوما من أهل الكتاب أو من مشركى قومه. قد قيل إن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[51] ابن جرير الطبرى، جامع البيان____________، ص. 270

عن أمر ذي القرنين، كانوا قوما من أهل الكتاب، وقد قيل كانوا مشركي قومه.[52]

أما الخبر بأن الذين سألوه كانوا قوما من أهل الكتاب ، فحدثنا به أبو كريب. قال: ثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة ، قال: ثني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن شيخين من تجيب، قال أحدهما لصاحبه: انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدّث، قالا فأتياه فقالا جئنا لتحدثنا، فقال: "كنت يوما أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت من عنده، فلقيني قوم من أهل الكتاب، فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذن لنا عليه، فدخلت عليه، فأخبرته، فقال: ما لي وما لهم، ما لي علم إلا ما علمني الله"، ثم قال: اسكب لي ماء

[52] نفس المرجع

، فتوضأ ثم صلى، قال: فما فرغ حتى عرفت السرور في وجهه، ثم قال: "أدخلهم عليّ، ومن رأيت من أصحابي فدخلوا فقاموا بين يديه، فقال: إن شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوبا، وإن شئتم أخبرتكم، قالوا: بلى أخبرنا، قال: جئتم تسألوني عن ذي القرنين، وما تجدونه في كتابكم: كان شابا من الروم، فجاء فبنى مدينة مصر الإسكندرية ، فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء، فقال له ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي ومدائن، ثم علا به، فقال: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي، ثم علا به فقال: ما ترى؟ قال: أرى الأرض، قال: فهذا اليم محيط بالدنيا، إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل، وتثبت العالم، فأتى به السدّ، وهو جبلان

لينان يَزْلَق عنهما كل شيء، ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج، ثم مضى به إلى أمة أخرى، وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج، ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب، ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد سماهم".[53]

وبعد ذلك، يذكر اختلاف أراء العلماء عن تسمية ذي القرنين، قال بعضهم: سمى بذى القرنين من أجل أنه ضُرِب على قَرنْه فهلك، ثم أُحْيِي فضُرب على القرن الآخر فهلك. وقال آخرون في ذلك: لأنه ملك الروم وفارس. وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين[54]. وقال

---

[53] نفس المرجع

[54] نفس المرجع، ص. 271

آخرون: إنما سمي ذلك لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس.[55]

وقوله: (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) يقول: إنا وطأنا له في الأرض، (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) يقول وآتيناه من كل شيء، يعني ما يتسبب إليه وهو العلم به.[56]

وقوله: (فَأَتْبَعَ سَبَبًا) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة ، فاتبع بوصل الألف، وتشديد التاء، بمعنى: سلك وسار. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (فَأَتْبَعَ) بهمز الألف، وتخفيف التاء، بمعنى لحق. وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأه (فَاتَّبَعَ)

---

[55] نفس المرجع، ص. 272
[56] نفس المرجع

بوصل الألف، وتشديد التاء، لأن ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن مسير ذي القرنين في الأرض التي مكن له فيها، لا عن لحاقه السبب. (سَبَبا) اى منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب.[57]

يقول تعالى ذكره: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ) ذو القرنين(مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) ، فاختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة (فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) بمعنى: أنها تغرب في عين ماء ذات حمأة، وقرأته جماعة من قراء المدينة، وعامَّة قرّاء الكوفة (فِي عَيْنٍ حامِيَةٍ) يعني أنها تغرب في عين ماء حارّة. واختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القرّاء في قراءته. والصواب من القول في ذلك عند الطبرى أن

[57] نفس المرجع

يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارّة ذات حمأة وطين، فيكون القارئ في عين حامية بصفتها التي هي لها، وهي الحرارة، ويكون القارئ في عين حمئة واصفها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين. وقد رُوي بكلا صيغتيها اللتين إنهما من صفتيها أخبار.[58] وقوله: (وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا) ذكر أن أولئك القوم يقال لهم: ناسك. وقوله: (قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ) يقول: إما أن تقتلهم إن هم لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله، ويذعنوا لك بما تدعوهم إليه من طاعة ربهم (وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا)

[58] نفس المرجع، ص. 273

يقول: وإما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد.[59]

يقول جلّ ثناؤه (قَالَ أمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) يقول: أما من كفر فسوف نقتله. كما حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (أمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) قال: هو القتل. وقوله (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا) يقول: ثم يرجع إلى الله تعالى بعد قتله، فيعذبه عذابا عظيما، وهو النكر، وذلك عذاب جهنم.[60]

يقول: وأما من صدق الله منهم ووحَّده، وعمل بطاعته ، فله عند الله الحسنى، وهي

---

[59] نفس المرجع، ص. 275
[60] نفس المرجع

الجنة، جزاء يعني ثوابا على إيمانه، وطاعته ربه.[61]

وقوله: (وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) يقول: وسنعلمه نحن في الدنيا ما تيسر لنا تعليمه ما يقرّبه إلى الله ويلين له من القول. وكان مجاهد يقول نحوا مما قلنا في ذلك.[62]

(ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا) يعنى منازل الأرض ومعالمها.[63] (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) يقول تعالى ذكره: ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا، وذلك أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، ولا تحتمل بناء ، فيسكنوا البيوت، وإنما

---

[61] نفس المرجع
[62] نفس المرجع، ص. 276
[63] نفس المرجع

يغورون في المياه، أو يسربون في الأسراب.[64]

وقال آخرون: هم الزنج.[65]

وأما قوله: (كَذَلكَ) فإن معناه: ثم أتبع سببا، حتى بلغ مطلع الشمس ، كما أتبع سببا حتى بلغ مغربها.[66]

وقوله (وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا) يقول: وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علما لا يخفى علينا ما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم، ولا من غيرهم، شيء.[67]

يقول تعالى ذكره: ثم سار طرقا ومنازل، وسلك سبلا (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) اى الحاجز بين الشيئين، وهما ها هنا فيما ذُكر جبلان سدّ ما بينهما، فردم ذو القرنين

---

[64] نفس المرجع
[65] نفس المرجع، ص. 277
[66] نفس المرجع
[67] نفس المرجع

حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم، ليقطع مادّ غوائلهم وعبثهم عنهم. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس(حتى إذَا بَلَغَ بينَ السُّدَّيْنِ) قال: الجبلين الردم الذي بين يأجوج ومأجوج، أمتين من وراء ردم ذي القرنين: قال: الجبلان: أرمينية وأذربيجان.[68]

وقوله (وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا) يقول عزّ ذكره: وجد من دون السدّين قوما لا يكادون يفقهون قول قائل سوى كلامهم.[69]

وقوله (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) ياجُوجَ وماجُوجَ هم أمتان من وراء

---

[68] نفس المرجع، ص. 278
[69] نفس المرجع، ص. 279

السدّ. وقوله: (مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) اختلف أهل التأويل في معنى الإفساد الذي وصف الله به هاتين الأمتين، فقال بعضهم: كانوا يأكلون الناس. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض، لا أنهم كانوا يومئذ يفسدون. ذكر من قال ذلك، وذكر صفة اتباع ذي القرنين الأسباب التي ذكرها الله في هذه الآية، وذكر سبب بنائه للردم: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن اسحاق، قال: ثني بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب، ممن قد أسلم، مما توارثوا من علم ذي القرنين، أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبا بن مردبة اليوناني، من ولد يونن بن يافث بن نوح.[70]

[70] نفس المرجع

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان الكلاعي، وكان خالد رجلا قد أدرك الناس "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال مَلِكٌ مَسَحَ الأرْضَ مِنْ تَحْتِها بالأسْبابِ" قال خالد: وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول: يا ذا القرنين، فقال: اللهمّ غفرا، أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء، حتى تسموا بأسماء الملائكة؟ فإن كان رسول الله قال ذلك، فالحق ما قال، والباطل ما خالفه.[71]

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: فحدثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني، وكان له علم بالأحاديث الأول ، أنه كان يقول: ذو

[71] نفس المرجع، ص. 280

القرنين رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر. وإنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس، فلما بلغ وكان عبدا صالحا، قال الله عزّ وجل له: يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض، وهي أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض، ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله ؛ ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله، وأم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج. فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض: فأمة عند مغرب الشمس، يقال لها: ناسك. وأما الأخرى: فعند مطلعها يقال لها: منسك. وأما اللتان بينهما عرض الأرض، فأمة في قطر الأرض الأيمن، يقال لها: هاويل. وأما الأخرى

التي في قطر الأرض الأيسر ، فأمة يقال لها: تاويل ؛ فلما قال الله له ذلك، قال له ذو القرنين: إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يَقدر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثني إليها، بأيّ قوة أكابدهم، وبأيّ جمع أكاثرهم، وبأيّ حيلة أكايدهم، وبأيّ صبر أقاسيهم، وبأيّ لسان أناطقهم، وكيف لي بأن أفقه لغاتهم، وبأىّ سْمع أعي قولهم، وبأيّ بصر أنفذهم، وبأيّ حجة أخاصمهم، وبأيّ قلب أعقل عنهم، وبأيّ حكمة أدبر أمرهم، وبأيّ قسط أعدل بينهم، وبأيّ حلم أصابرهم، وبأيّ معرفة أفصل بينهم، وبأيّ علم أتقن أمورهم، وبأيّ يد أسطو عليهم، وبأيّ رجل أطؤهم، وبأيّ طاقة أخصمهم، وبأيّ جند أقاتلهم، وبأيّ رفق أستألفهم، فإنه ليس

عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم، ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم. وأنت الربّ الرحيم. الذي لا يكلِّف نفسا إلا وسعها، ولا يحملها إلا طاقتها، ولا يعنتها ولا يفدحها، بل أنت ترأفها وترحمها.[72]

قال الله عزّ وجلّ: إني سأطوّقك ما حمَّلتك، أشرح لك صدرك، فيسع كلّ شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كلّ شيء، وأبسط لك لسانك، فتنطق بكلّ شيء، وأفتح لك سمعك فتعي كلّ شيء، وأمدّ لك بصرك، فتنفذ كلّ شيء، وأدبر أمرك فتتقن كلّ شيء، وأحصي لك فلا يفوتك شيء، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء، وأشدّ لك ظهرك، فلا يهدّك شيء، وأشدّ لك ركنك فلا يغلبك شيء، وأشدّ لك قلبك فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة، فأجعلهما جندا

[72] نفس المرجع

من جنودك، يهديك النور أمامك، وتحوطك الظلمة من ورائك، وأشدّ لك عقلك فلا يهولك شيء، وأبسط لك من بين يديك، فتسطو فوق كلّ شيء، وأشدّ لك وطأتك، فتهدّ كل شيء، وألبسك الهيبة فلا يرومك شيء.[73]

ولما قيل له ذلك، انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس، فلما بلغهم، وجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله، وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة، وقلوبا متفرّقة ، فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها، فأحاطتهم من كلّ مكان، وحاشتهم حتى جمعتهم قي مكان واحد، ثم أخذ عليهم بالنور، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته، فمنهم من آمن له، ومنهم من صدّ، فعمد إلى الذين تولوا

[73] نفس المرجع

عنه. فأدخل عليهم الظلمة .فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم، ودخلت في بيوتهم ودورهم، وغشيتهم من فوقهم، ومن تحتهم ومن كلّ جانب منهم، فماجوا فيها وتحيروا ، فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة، فدخلوا في دعوته، فجنَّد من أهل المغرب أمما عظيمة، فجعلهم جندا واحدا، ثم انطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم، والنور أمامهم يقودهم ويدلهم، وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى، وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل. وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره، فلا يخطئ إذا ائتمر، وإذا عمل

عملا أتقنه. فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال، فنظمها في ساعة، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها، ثم دفع إلى كلّ إنسان لوحا فلا يكرثه حمله.[74]

فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل، فعمل فيها كعمله في ناسك. فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجند منها جنودا، كفعله في الأمتين اللتين قبلها، ثم كر مقبلا في ناحية الأرض اليسرى، وهو يريد تاويل وهي الأمة التي بحيال هاويل، وهما متقابلتان بينهما

[74] نفس المرجع، ص. 281

عرض الأرض كله ؛ فلما بلغها عمل فيها، وجند منها كفعله فيما قبلها ، فلما فرغ منها عطف منها إلى الأمم التي وسط الأرض من الجن وسائر الناس، ويأجوج ومأجوج ، فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت له أمة من الإنس صالحة: يا ذا القرنين، إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله، وكثير منهم مشابه للإنس، وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب، ويفترسون الدوابّ والوحوش كما تفترسها السباع، ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب، وكلّ ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق ينمو نماءهم في العام الواحد، ولا يزداد كزيادتهم، ولا يكثر ككثرتهم، فإن كانت لهم مدّة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم، فلا شكّ

أنهم سيملئون الأرض، ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها، وليست تمرّ بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم، وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين(فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) أعدوا إليّ الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم، وأعلم علمهم، وأقيس ما بين جبليهم.[75]

ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم، فوجدهم على مقدار واحد، ذكرهم وأنثاهم، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا، وأضراس وأنياب كأضراس

[75] نفس المرجع

السباع وأنيابها. وأحناك كأحناك الإبل ، قوّة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرّة من الإبل، أو كقضم الفحل المسنّ، أو الفرس القويّ، وهم هلب، عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، وما يتقون به الحرّ والبرد إذا أصابهم ، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان: إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها، تَسعانه إذا لبسهما، يلتحف إحداهما، ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما، ويشتي في الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذى يموت فيه، ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقن بالموت، وهم يرزقون

التنين أيام الربيع، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كلّ سنة بواحد، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورؤي أثره عليهم، فدرّت عليهم الإناث، وشَبِقت منهم الرجال الذكور، وإذا أخطأهم هَزَلوا وأجدبوا، وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم، وهم يتداعَون تداعي الحَمام، ويعوُون عُواء الكلاب، ويتسافدون حيث التقَوا تسافد البهائم.[76]

فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصَّدَفين، فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس، فوجد

[76] نفس المرجع

بُعد ما بينهما مئة فرسخ ؛ فلما أنشأ في عمله، حفر له أساسا حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا، وجعل حشوه الصخور، وطينه النحاس، يذاب ثم يُصبّ عليه، فصار كأنه عِرْق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشَرّفه بزُبَر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عِرْقا من نحاس أصفر، فصار كأنه بُرد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد ، فلما فرغ منه وأحكمه ، انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجن ، فبينا هو يسير، دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحقّ وبه يعدلون، فوجد أمة مقسطة مقتصدة، يقسمون بالسوية، ويحكمون بالعدل، ويتآسون ويتراحمون، حالهم واحدة، وكلمتهم واحدة، وأخلاقهم مشتبهة، وطريقتهم مستقيمة ، وقلوبهم متألفة،

وسيرتهم حسنة، وقبورهم بأبواب بيوتهم، وليس على بيوتهم أبواب، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة، وليس بينهم أغنياء، ولا ملوك، ولا أشراف، ولا يتفاوتون، ولا يتفاضلون، ولا يختلفون، ولا يتنازعون، ولا يستبُّون، ولا يقتتلون ، ولا يَقْحَطون، ولا يحردون، ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس، وهم أطول الناس أعمارا، وليس فيهم مسكين، ولا فقير، ولا فظّ، ولا غليظ ، فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم، عجب منه! وقال: أخبروني، أيها القوم خبركم، فإني قد أحصيت الأرض كلها برّها وبحرها، وشرقها وغربها، ونورها وظلمتها، فلم أجد مثلكم، فأخبروني خبركم ؛ قالوا: نعم، فسلنا عما تريد، قال: أخبروني، ما بال قبور موتاكم على

أبواب بيوتكم؟ قالوا: عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت، ولا يخرج ذكره من قلوبنا ، قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا متهم، وليس منا إلا أمين مؤتمن ؛ قال: فما لكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نتظالم ، قال : فما بالكم ليس فيكم حكام؟ قالوا: لا نختصم ، قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لا نتكاثر ؛ قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكابر ، قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا ؛ قال: فما بالكم لا تستبون ولا تقتتلون؟ قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم، وسسنا أنفسنا بالأحلام ، قال: فما بالكم كلمتكم واحدة،

وطريقتكم مستقيمة مستوية؟ قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب، ولا نتخادع، ولا يغتاب بعضنا بعضا ؛ قال: فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم، واعتدلت سيرتكم؟ قالوا: صحّت صدورنا، فنزع بذلك الغلّ والحسد من قلوبنا ؛ قال: فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقتسم بالسوية ؛ قال: فما بالكم ليس فيكم فظّ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذّل والتواضع ؛ قال: فما جعلكم أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من قبل أنا نتعاطى الحقّ ونحكم بالعدل ؛ قال : فما بالكم لا تُقْحَطون؟ قالوا: لا نغفل عن الاستغفار ، قال: فما بالكم لا تَحْرَدون؟ قالوا: من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا ، وأحببناه وحرصنا عليه، فعرينا

منه ، قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس؟ قالوا: لا نتوكل على غير الله، ولا نعمل بالأنواء والنجوم ، قال: حدِّثوني أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم، ويُواسون فقراءهم، ويَعفون عمن ظلمهم، ويُحسنون إلى من أساء إليهم، ويحلُمون عمن جهل عليهم، ويستغفرون لمن سبهم، ويصلون أرحامهم، ويؤدّون آماناتهم، ويحفظون وقتهم لصلاتهم، ويُوَفُّون بعهودهم، ويصدُقون في مواعيدهم، ولا يرغبون عن أكفائهم، ولا يستنكفون عن أقاربهم، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم، وحفظهم ما كانوا أحياء، وكان حقا على الله أن يحفظهم في تركتهم.[77]

---

[77] فس المرجع، ص. 282

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ يأجُوجَ ومأجُوجَ يَحْفُرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حتى إذَا كادُوا يَرَونَ شُعاعَ الشَّمْسِ قال الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَتَحْفُرُونَهُ غَدًا، فَيُعِيدُهُ اللهُ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ تَرَكُوهُ، حتى إذَا جاءَ الوَقْتُ قالَ: إنْ شاءَ اللهُ، فَيَحْفُرُونَهُ ويَخْرُجُونَ على النَّاسِ، فَيَنْشِفُونَ المِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهامِهِمْ إلى السَّماءِ، فَيرجِعُ فيها كَهَيْئَةِ الدِّماءِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنا أهْلَ الأرضِ، وَعَلَوْنا أهْلَ السَّماءِ، فَيَبْعَثُ اللهُ عَلَيْهِمْ نَغْفا في أقْفائِهِمْ فَتَقْتُلُهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والَّذِي نَفْسُ

مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إنَّ دَوَابَّ الأرْضِ لَتَسْمَنُ وتَشْكرُ مِنْ لُحُومِهِمْ". [78]

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ثم الظفري، عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل، وعن أبي سعيد الخدريّ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "يُفْتَحُ يَأْجُوجُ ومأْجُوجَ فَيَخْرُجُونَ على النَّاسِ كمَا قال الله عز وجل(وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) فَيَغْشَوْنَ الأرْضَ، ويَنْحازُ المُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إلى مَدَائِنِهمْ وحُصونِهِمْ، وَيَضُمَّونَ إلَيْهِمْ مَوَاشِيهِمْ، فَيَشْرَبُونَ مِياهَ الأرْضِ، حتى إنَّ بَعْضَهُم لَيَمُرُّ بالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ ما فِيهِ، حتى يَتْركُوه يَابِسًا، حتى إنَّ مَنْ بَعْدَهُم لَيَمُرُّ بذلكَ النَّهْرِ، فَيَقُولُ: لَقَدْ كانَ هَا هُنا ماءٌ مَرَّةً،

[78] نفس المرجع، ص. 283

حتى لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أحَدٌ إلا انحازَ إلى حِصْنٍ أوْ مَدِينَةٍ، قالَ قائِلُهُم: هَؤْلاء أهْلُ الأرْضِ قَدْ فَرَغْنا مِنْهُمْ، بَقِيَ أهْلُ السَّماءِ، قالَ: ثُمَّ يَهُزُّ أحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ يَرْمي بها إلى السَّماءِ، فَتَرْجِعُ إلَيْهِ مُخَضبَةً دَما للبلاء والفِتْنَةِ ، فَبَيْنَا هُمْ على ذلكَ، بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ دُودًا في أعناقِهِمْ كالنَّغَفِ، فَتَخْرُجُ في أعْناقِهِمْ فيُصْبِحُون مَوْتَى، لا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ، فَيَقُولُ المُسْلِمُونَ: ألا رَجُلٌ يَشْرِي لنَا نَفْسَهُ، فَيَنْظُرُ ما فعل العدوّ، قال: فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لذلكَ مُحْتَسِبا لِنَفْسِهِ، قَدْ وَطَّنَها على أنَّهُ مَقْتُولٌ، فَينزلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى، بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ، فَيُنادِي: يا مَعْشَرَ المُسْلِمينَ، ألا أبشِرُوا، فإنَّ اللهَ قَدْ كَفاكُمْ عَدُوَّكُمْ، فيَخْرُجونَ مِنْ مَدائنهم وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَواشِيَهُمْ،

فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إلا لُحُومُهُمْ، فَتشْكرُ عَنْهُمْ أحْسَنَ ما شَكَرَتْ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّباتِ أصَابَتْ قَطّ".[79]

حدثني بحر بن نصر، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني معاوية، عن أبي الزاهرية وشريح بن عبيد: أن يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف: صنف طولهم كطول الأرز، وصنف طوله وعرضه سواء، وصنف يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى فتغطي سائر جسده.[80]

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ) قال: كان أبو سعيد الخدريّ: يقول: إن نبيّ الله صلى الله عليه

---

79 نفس المرجع

80 نفس المرجع

وسلم قال : " لا يَمُوتُ رَجُلٌ مِنْهُمْ حتى يُولَدَ لِصُلْبِهِ ألْفُ رَجُل" . قال: وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول: لا يموت من يأجوج ومأجوج أحد حتى يولد له ألف رجل من صلبه.[81]

فالخبر الذي ذكرناه عن وهب بن منبه في قصة يأجوج ومأجوج، يدلّ على أن الذين قالوا لذي القرنين(إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ) إنما أعلموه خوفَهم ما يحدُث منهم من الإفساد في الأرض، لا أنهم شَكَوا منهم فسادا كان منهم فيهم أو في غيرهم. والأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيكون منهم الإفساد في الأرض، ولا دلالة فيها أنهم قد كان منهم قبل إحداث ذي القرنين السدّ الذي أحدثه بينهم وبين من

[81] نفس المرجع، ص. 284

دونهم من الناس في الناس غيرهم إفساد. فإذا كان ذلك كذلك بالذي بيَّنا، فالصحيح من تأويل قوله (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) إن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض.[82]

(فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجا) بالألف، اى ان القوم فيما ذُكر عنهم، إنما عرضوا على ذي القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السدِّ، وقد بين ذلك بقوله:(فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) ولم يعرضوا عليه جزية رؤوسهم. والخراج عند العرب: هو الغلة. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا

[82] نفس المرجع

معمر، عن قتادة، في قوله (فَهَلْ نَجْعَلُ لَك خَرَاجا) قال: أجرا.[83]

وقوله: (عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا) يقول: قالوا له: هل نجعل لك خراجا حتى أن تجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوح حاجزا يحجز بيننا وبينهم، ويمنعهم من الخروج إلينا؟ وهو السدّ.[84]

يقول تعالى ذكره: قال ذو القرنين: الذي مكنني في عمل ما سألتموني من السدّ بينكم وبين هؤلاء القوم ربي، ووطأه لي، وقوّانى عليه، خير من جُعلكم، والأجرة التي تعرضونها عليّ لبناء ذلك، وأكثر وأطيب، ولكن أعينوني منكم بقوة، أعينوني بفَعَلة وصناع يُحسنون البناء والعمل. كما حدثنا

---

[83] نفس المرجع
[84] نفس المرجع

القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ) قال: برجال (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) وقال ما مكني، فأدغم إحدى النونين في الأخرى، وإنما هو ما مكنني فيه. وقوله: (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) يقول: أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردما. والردم: حاجز الحائط والسدّ، إلا أنه أمنع منه وأشدّ.[85] (آتُونِي) أي جيئوني بِزُبَرِ الحديد، وهي جمع زُبْرة ، والزُّبْرة: القطعة من الحديد. وقوله (حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) يقول عزّ ذكره: فآتو زُبَر الحديد، فجعلها بين الصدفين حتى إذا ساوى بين الجبلين بما جعل بينهما من زُبر الحديد، ويقال: سوّى. والصدفان: ما بين

[85] نفس المرجع، ص. 285

ناحيتي الجبلين ورؤوسهما. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله:(بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) يعني الجبلين، وهما من قبل أرمينية وأذربيجان.[86]

وقوله (قَالَ انْفُخُوا) يقول عزّ ذكره، قال للفعلة: انفخوا النار على هذه الزبر من الحديد. وقوله:(حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا) وفي الكلام متروك، وهو فنفخوا، حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد نارا (قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا). وقوله:(أُفْرِغْ عَلَيْهِ

[86] نفس المرجع

قِطْرًا) يقول: أصبّ عليه قِطرا، والقِطْر: النحاس.[87]

وقوله: (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) يقول عزّ ذكره: فما اسطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا الردم الذي جعله ذو القرنين حاجزا بينهم، وبين من دونهم من الناس، فيصيروا فوقه وينزلوا منه إلى الناس.[88]

(وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) يقول: ولم يستطيعوا أن ينقبوه من أسفله.[89]

يقول عزّ ذكره: فلما رأى ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بنى من الردم، ولا يقدرون على نقبه، قال: هذا الذي بنيته وسويته حاجزا بين

---

[87] نفس المرجع، ص. 287
[88] نفس المرجع
[89] نفس المرجع، ص. 288

هذه الأمة، ومن دون الردم رحمة من ربي رحم بها من دون الردم من الناس، فأعاني برحمته لهم حتى بنيته وسوّيته ليكفّ بذلك غائلة هذه الأمة عنهم.[90]

يقول عز ذكره : فلما رأى ذو القرنين أن يأجوج و مأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بني من الردم، و لا يقدرون على نقبه، قال : هذا الذى بنيته و سويته حاجزا بين هذه الأمة و من دون الردم رحمة من ربى رحم بها من دون الردم من الناس، فأعانى برحمة لهم حتى بنيته و سويته ليكف بذلك غائلة هذه الأمة عنهم.[91]

هذه وقوله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ) يقول: فإذا جاء وعد ربي الذي

---

[90] نفس المرجع
[91] نفس المرجع

جعله ميقاتا لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم لهم. جعله دكاء، يقول: سواه بالأرض، فألزقه بها، من قولهم: ناقة دكاء: مستوية الظهر لا سنام لها. وإنما معنى الكلام: جعله مدكوكا، فقيل: دكاء. وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ) قال: لا أدري الجبلين يعني به، أو ما بينهما.[92]

وذكر أن ذلك يكون كذلك بعد قتل عيسى ابن مريم عليه السلام الدجال. ذكر الخبر بذلك: حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: ثنا هشيم بن بشير، قال: أخبرنا العوّام، عن جبلة بن سحيم، عن مؤثر، وهو

[92] نفس المرجع

ابن عفارة العبدي ، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لَقِيتُ لَيْلَةَ الإسْرَاءِ إبْرَاهيمَ وَمُوسَى وعِيسَى فَتَذَاكرُوا أمْرَ السَّاعةِ، وَرَدُّوا الأمْرَ إلى إبْرَاهِيمَ فَقالَ إبْرَاهيمُ: لا عِلْمَ لي بِها، فَرَدُّوا الأمْرَ إلى مُوسَى، فَقالَ مُوسَى: لا عِلْمَ لي بها، فَرَدُّوا الأمْرَ إلى عِيسَى ؛ قَالَ عِيسَى: أمَّا قِيامُ السَّاعةِ لا يَعْلَمُهُ إلا اللهُ، وَلَكِنَّ رَبّي قَدْ عَهِدَ إلَيَّ بِمَا هُوَ كائِنٌ دُونَ وَقْتِها، عَهِدَ إلَيَّ أنَّ الدَّجَّالَ خارِجٌ، وأنَّهُ مُهْبِطِي إلَيْهِ، فَذَكَرَ أنَّ مَعَهُ قَصَبَتَيْنِ، فإذَا رآنِي أهْلَكَهُ اللهُ، قالَ: فَيَذُوبُ كما يذوبُ الرَّصَاصُ، حتى إنَّ الحَجَرَ والشَّجَرَ لَيَقُولُ: يا مُسْلِمُ هَذَا كافِرٌ فاقْتُلْهُ، فَيُهْلِكُهُمُ اللهُ، ويَرْجِعُ النَاسُ إلى بِلادِهِمْ وأوْطانِهمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِنْ كُلِّ

حَدبٍ يَـنْسِلُونَ، لا يَـأْتُـونَ عَلـى شَيْءٍ إلا أكَلُـوهُ، ولا يَمُرُّونَ على مـاءٍ إلا شَرِبُـوهُ، فَـيْرِجِعُ الـنَّـاسُ إلَيَّ، فَـيَشْكُونَـهُمْ ، فـأدْعُو الله عليهم فـيميتهم حتى تَـجْوَى الأرْضُ مِنْ نَـتِنْ رِيحِهِمْ، فَـيَـنزلُ المَطَرُ، فَـيَجُرُّ أجْسادَهُم، فـيُلْقِـيهِمْ فِـي الـبَحْرِ، ثُـمَّ يَـنْسِفُ الجِبَـالَ حتى تَـكُونَ الأرْضُ كـالأدِيمِ، فَـعَهِدَ إلَيَّ رَبّـي أنَّ ذلـكَ إذا كـان كـذلـك، فـإنَّ الـساعة مِـنْـهُمْ كـالحـامِلِ المُـتِمُّ الـَّتِـي لا يَـدْرِي أهْلُهـا مَـتى تَـفْـجَؤُهُمْ بِـوِلادِهـا ، لَـيْلا أوْ نَـهَـارًا".[93]

حدثني عبيد بن إسماعيل، قـال: ثـنـا المحـاربـيّ، عن أصبع بـن زيـد، عن الـعوّام بـن حوشب، عن جبلة بـن سحيم ، عن مـؤثـر بـن عَفـازَة، عن عبـد الله بـن مسعود، قـال: لمـا أُسْرِي بـرسول الله صلى الله عليه وسلم الـتقـى هو وإبـراهيم ومـوسى وعيسى عليهم الـسلام.

93 نفس المرجع، ص. 289

فتذاكروا أمر الساعة. فذكر نحو حديث إبراهيم الدورقي عن هشيم، وزاد فيه: قال العوّام بن حوشب: فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله تعالى، قال الله عز وجل(حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) يقول: وكان وعد ربي الذي وعد خلقه في دكّ هذا الردم، وخروج هؤلاء القوم على الناس، وعيثهم فيه، وغير ذلك من وعده حقا، لأنه لا يخلف الميعاد فلا يقع غير ما وعد أنه كائن.[94]

الفصل الثالث : رأى المؤرخين عن ذى القرنين

[94] نفس المرجع

يقسم هارون ناسوتيون التاريخ الاسلامى الى ثلاثة أدوار :

1-دور القديم (650-1250 م)

2-دور الاوسط (1250-1800 م)

3-دور العصر (1800 م- الآن)[95]

أ- رأي ابن هشام و ابن اسحاق عن ذى القرنين فى كتاب "السيرة النبوية لابن هشام"

هو أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميرى، نشأ بالبصرة، ثم نزل مصر. هكذا يحدثنا الرواة عنه، ولا يذكرون له حياة فى غير هذين بلدين، ولكننا نظن أن حياة ابن هشام لم تكن محصورة فى هذين المصرين، وخاصة

---

[95] هارون ناسوتيون، *Islam Ditinjau Dari Berbagai Aspek*، (جاكرتا: UI-press، 1985) ص. 13-14

فى عصر كان العلم فيه يؤخذ سماعا، و كانت الرحلة فى طلبه ديدن العلماء.[96]

ظل ميلاد ابن هشام سرا دفينا فى ضمير الايام، و توفي سنة 834 م، ولذلك هو من المؤرخين فى الدور القديم.

ذكر ابن هشام ان ذا القرنين فى القرآن هو الإسكندر الذى بنى الإسكندرية، وأما عند ابن اسحاق فذو القرنين هو مرزبان بن مرذبة اليونانى، من ولد يافث بن نوح.[97]

قال ابن هشام فى كتابه "السيرة النبوية" عن ذى القرنين:

وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف: ((وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا

---

[96] أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميرى ، *السيرة النبوية لابن هشام*، الجزء الأول (بيروت: المكتبة العلمية، بدون السنة) ص. 17

[97] نفس المرجع، ص. 307

لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾)) حتى انتهى الى آخر قصة خبره.[98]

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى مالم يوت أحد غيره، فمدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض و مغاربها، لا يطأ أرضا إلا سلّط على أهلها، حتى انتهى من المشرق و المغرب إلى ما ليس وراءه شىء من الخلق.[99]

قال ابن اسحاق: فحدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه: أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر. اسمه مرزبان بن مرذبة اليونانى، من ولد يافث بن نوح.[100]

---

[98] نفس المرجع
[99] نفس المرجع
[100] نفس المرجع

قال ابن هشام: و اسمه الإسكندر، وهو الذى بنى الإسكندرية فنسبت اليه.

قال ابن اسحاق: وقد حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعى، وكان رجلا قد أدرك : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم سئل عن ذى القرنين فقال: ملك مسح الأرض من تحتها الأسباب.[101]

وقال خالد: سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول: يا ذا القرنين، فقال عمر: اللهم غفرا، اما رضيتم أن تسموا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكة.[102]

---

[101] نفس المرجع
[102] نفس المرجع

قال ابن اسحاق: الله أعلم أىّ ذلك كان، أقال ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم، أم لا؟ (فان كان قاله)، فالحق ما قال.[103]

ب- رأي ابن خلدون عن ذى القرنين فى كتابه "مقدمة ابن خلدون"

هو ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبى بكر محمد بن الحسن،[104] وقيل العلامة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى.[105] ولد فى تونس سنة 732 ه/1332 م و توفى فى القاهرة سنة 808

---

[103] نفس المرجع، ص. 309

[104] إدريس طه وغيره، *Ensiklopedi Islam 3* (جاكرتا: PT. Ichtiar Baru Van Hoeve، بدون السنة) ص. 81

[105] عبد الرحمن بن خلدون، *مقدمة ابن خلدون*، الجزء الأول (بيروت: دار الفكر، 1981 م) ص. 3

ه/1406 م،[106] و لذلك هو من المؤرخين فى الدور الاوسط.

يذكر ابن خلدون فى كتابه مقدمة ابن خلدون ثلاثة أشخاص الذين يلقبون بذى القرنين و هم الصعب بن الحرث وهو أحد ملوك الحمير،[107] و المنذر بن امرئ القيس وهو أحد ملوك الحيرة من آل المنذر وسمي بذى القرنين لضفيرتين كانتا له من شعره،[108] و الإسكندر بن فيلبوس (فيلفوس) المقدوني،[109]وهو أحد من ملوك المقدونى الذى غلب على ملك الفرس داريوش III و سلط على كامل امبراطورية الفارسية فى ذلك العصر.

---

[106] أزيومردى أزرا وغيره، *Ensiklopedi Islam* 3

[107] عبد الرحمن بن خلدون، *مقدمة* ____، الجزء الثانى، ص. 54-66

[108] نفس المرجع، ص. 318

[109] انظر الى مقدمة ابن خلدون الجزء الثامن، ص. 38

و لكن لا يذكر ابن خلدون اي ذى القرنين منهم الذى ذكره الله فى القرآن.

ت- رأي أبو الكلام أزاد عن ذى القرنين فى كتابه "ويسألونك عن ذى القرنين"

هو ابو الكلام محى الدين احمد آزاد، ولد فى مكة سنة 1888 م و توفى فى هند 1958 م. ولذلك هو من المؤرخين فى الدور العصر.

رأى أبو الكلام أزاد أن ذا القرنين فى القرآن هو غورش ملك الفرس، توفي سنة 529 ق. م،[110] وأما حجته كما يلى:

انا مكنا له فى الأ رض:

ان اول ما وصفه به القرآن ذا القرنين هو قوله ((انا مكنا له فى الأرض و آتيناه

---

[110] أبو الكلام أزاد، *ويسألونك عن ذى القرنين* (مصر: دار الشعب، 1972 م) ص. 229

من كل شىء سببا)) (84). اى أننا منحناه السلطان و التثبت فى الملك و هيأنا له جميع الوسائل و المعدات التى كان يحتاج اليها لتدعيم حكمه واتمام فتوحه و من اسلوب القرآن أنه كلما يفسر نجاح شخص و سلطانه الى الله مباشرة – كما نراه فى هذه الآية – يريد بذلك أمرا عظيما قد وقع على خلاف المعهود ولذلك صار هبة من الله و رحمة خاصة من لدنه. فمثلا نرى فى سورة يوسف انه يقول ((وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض)) (56:12) اي جعلنا ليوسف متمكنا فى أرض مصر و ذلك لأن يوسف عليه السلام وصل الى حكم مصر بطريقة عجيبة غير معهودة، و لذلك نسب الى الله، ليبين انه كان من نعم الله الخصوصية عليه أن أخرجه من السجن و أجلسه على عرش البلاد،

و كان أسلوب الكلام عن ذى القرنين نفس هذا الأسلوب كان لزاما أن يكون وصول ذى القرنين كذلك الى مقام الملك و السلطان فى ظروف غير عادية فيكون منحة خصوصية من عند الله.[111]

و اذا نظرنا من هذه الناحية الى غورش، نجد كان مصورا صور ذا القرنين صورة مطابقة للاصل تماما، فقد بدأ حياته فى ظروف أحاطت بها الحوادث المحيرة للعقول، حتى سبكتها فى قالب اسطورة: انه لم يولد بعد الا أن والد امه أصبح عدوا لدودا له، يريد الفتك به و لكن الرجل الذى انتدبه لقتله، امتلأ قلبه عطفا و حنانا عليه، فاختطفه من براثن الموت، ثم انه ينشأ فى الغابات و الصحارى و الجبال. و يعيش عيشة

[111] نفس المرجع، ص. 233

الرعاة المهملين المجهولين فبينما هو كذلك اذ تتغير الاحوال بغتة، و تقوده الى ساحات الجد و العمل، مشمرا عن مساعديه فيخلو له عرش مادا بدون مزاحمة! لا ريب ان سير حوادث الحياة العادية لا يكون هكذا ، انه حقا أمر فذ، نادر، عجيب!.[112]

و آتيناه من كل شيء سببا:

ثم قال " و آتيناه من كل شيء سببا " أى وهبناه كل الوسائل للعمل و النجاح . انظر كيف تطابق هذه الكلمات من الآية الامر الواقع ؟ أن الشاب الذى كان بالامس راعيا مجهولا، قد استوى اليوم على عرش الملك ، و ملك جميع ما يحتاج اليه من وسائل العمل بدون حرب و نضال! يقول مؤرخو

[112] نفس المرجع، ص. 234

اليونان أن جميع قبائل فارس قد اتفقت على طاعته من تلقاء نفسها، و ظهرت فى التاريخ أول مرة المملكة الفارسية المتحدة ، ثم احتشدت له جيوش عظيمة لم تملكها مملكة من قبل.[113]

المهمة الاولى الغربية :

- ثم ذكر القرآن لذى القرنين ثلاث مهمات:

كانت الاولى منها الى "مغرب الشمس" و الغرض الواضح من "مغرب الشمس" الجهة التى نرى الشمس تغرب نحوها، أي جهة الغرب، و ليس معنى ذلك مكان غروب الشمس حقيقة ، اذ لا يوجد و لا يمكن أن يوجد مكان كهذا. وأن كل اللغات لتعبر عن الغرب و الشرق ب " مغرب الشمس " و ب " مطلع الشمس: و نجد فى

113 نفس المرجع

العهد العتيق كذلك تعبيرات كهذه، فنقرأ مثلا فى صحيفة زكريا؟ يقول رب الجموع انى انجى شعبى من البلد الذى تطلع منه الشمس، ومن البلد الذى تغرب فيه الشمس " (7:8)، أي انجى بنى اسرائيل من مصر و بابل، اذ مصر لفلسطين بلاد المغرب، و بابل بلاد المشرق. هذا أمر واضح لا يحتاج الى البحث. الا أن أمرا جليا كهذا أصبح معقدا لولع المفسرين بالعجائب. فتوهموا أن ذا القرنين وصل الى المكان الذى تغرب فيه الشمس حقيقة![114]

والحاصل أن مهمته الاولى كانت الى الغرب، ولا ريب أنها كانت مهما ليديا، لأنك ان

[114] نفس المرجع، ص. 235

مشيت من ايران الشمالية الى آسيا الصغرى ، تكون مشيت نحو الغرب تماما.[115]

وقد رأيت آنفا أن غوروش ما كاد يضع تاج فارس و مادا على رأسه حتى فاجأه ملك آسيا الصغرى، كروسس، بالهجوم وقد تكونت آسيا الصغرى التى عرفت باسم ليديا، فى القرن السابق للحوادث التى نحن بصددها، و كانت عاصمتها مدينة سارديز. ولقد سبقت حروب بين مادا و ليديا قبل ارتقاء غوروش العرش، واخيرا صالح والد كروسس جد غوروش، استياغس ، و لأجل تصميم الاتحاد تصاهرت الأسرتان المالكتان، ولكن كروسس داس كل هذه العلاقات و القرابات حين كبر عليه أن تنشأ امبراطورية عظيمة باتحاد فارس و مادا

[115] نفس المرجع

تحت زعمة غوروش الناجحة، فحرض اولا حكومات بابل، و مصر و اسبارتا عليه ثم استولى باغارة فجائية على بلدة بتريا الواقعة على الحدود.[116]

فاضطر غوروش الى رد سيف الهاجم الى نحره، فخرج من عاصمة مادا، هغ متانا (دمدان) و انقض كالصاعقة على خصمه، ولم يطل النضال، بل سقطت مملكة ليديا كلها ساجدة أمام قدميه بعد موقعتين بتريا و ساردیز![117]

و قد أتى هرودتس على تفاصيل هذه الحروب، و هي ممتعة، فقال كان انتصار غوروش سريعا جدا لم يتوقعه أحد، فما مضت على معركة بتريا أربعة عشر يوما الا و

[116] نفس المرجع
[117] نفس المرجع

خضعت عاصمة ليديا المنيعة، ووقف ملك كروسس، أسيرا بين يدي الفاتح! فأصبحت آسيا الصغرى كلها من بحر الشام الى البحر الاسود خاضعة لغوروش، و لكنه ما زال يتقدم و يتوغل، حتى بلغ اخر المغرب، اى الى ساحل البحر، و هنا – طبعا – وقفت أقدامه، كما وقفت بعد اثنى عشر قرنا أقدام موسى بن نصير على الساحل الشمالى من افريقية.[118]

و اجتاز غوروش من هغ متانا الى ليديا ألفا و أربع مائة ميل و كان لا يقدر على المشى فوق أمواج البحر، فوقف، فاذا هو يرى الشمس تغرب فى عين الخليج الساحلى.

---

[118] نفس المرجع

وكان له هذا المقام بلا ريب مغرب الشمس اى نهاية المغرب.[119]

وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما:

لنضع خريطة الساحل الغربي لآسيا الصغرى أمامنا، نرى فيها معظم الساحل قد تقطع فى خلج صغيرة، لاسيما على مقربة من أزمير، حيث اتخذ الخليج صورة عين. كانت سارديز على مقربة من الساحل الغربى، ولا تبعد كثيرا عن أزمير الحاضرة. فلنا أن نقول أن غوروش لما تقدم بعد استيلائه على سارديز، وصل من ساحل بحر ايجه الى مكان قريب من أزمير، و رأى الساحل قد اتخذ صورة تشبه العينن و كان الماء قد انكدر من وحل الساحل، فرأى الشمس تغرب مساء فى هذه

---

[119] نفس المرجع، ص. 236

العين، هذا هو ما عبر عنه القرآن بقوله ((وجدها تغرب فى عين حمئة)) اى انه تراءى له كأن الشمس تغرب فى بقعة كدرة من الماء.[120]

ومن العلوم أن الشمس لا تغرب فى مكان ما ولكنك ان وقفت على ساحل بحرى، لرأيت الشمس كأنها تغرب رويدا رويدا فى البحر.[121]

المهمة الشرقية:

وكانت مهمته الثانية الى مشرق الشمس، اى فى جهة الشرق. فهيرودتس وتى سبار كلاهما يذكران هذه المهمة الشرقية التى قام بها غوروش بعد فتحه ليديا، وقبل استيلائه على بابل، فقالا "ان طغيان بعض القبائل

[120] نفس المرجع
[121] نفس المرجع

الهمجية الصحراوية حمله على القيام بهذه المهمة".[122]

وهذا يطابق ما قاله القرآن ((حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٍ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرًا)) اى انه لما وصل الى نهاية الشرق، رأى الشمس تطلع على قوم ليس لديهم ما يستترون به من قيظها، يعنى أنهم كانوا من القبائل الرحالة التى لا تمكن المدن ولا تبنى لها البيوت.[123]

قبائل الشرق الرحالة:

من كانت هذه القبائل الرحالة؟ يظهر من بعد ما صرح به مؤرخو اليونان أنها بكتريا، اى بلخ. ولو نظرنا فى الخريطة لوجدنا "بلخ" بمثابة الشرق الاقصى لايران،

---

[122] نفس المرجع
[123] نفس المرجع

لان الارض بعدها ترتفع و تسد الطريق. و الظاهر ان قبائل غيدروسيا كانت أخذت تسعى فى فساد على حدوده الشرقية، فقام من مكانه حتى وصل بلخ فاتحا، والمقصود من غيدروسيا البلاد التى تسمى الان بمكران و بلوخستان.[124]

المهمة الثالثة الشمالية و سد يأجوج و مأجوج:

وقام بهجوم ثالث على بلاد جبلية كانت تغير عليها من ورائها يأجوج و مأجوج وهنالك بنى السد. كانت هذه مهمته الثالثة. وصل بها، تاركا على يمينه بحر الخزر، الى جبال القوقاز حيث وجد مضيق بين جبلين منها.[125]

[124] نفس المرجع، ص. 237
[125] نفس المرجع

ذكر القرآن هذا الخبر قائلا ((حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا)) ، اى انهم كانوا جبليين متوحشين، حرموا من المدنية و العقل و الفهم.[126]

والمقصود بسدين، مضيق فى جبال القوقاز. وانك تجد على يمين القوقاز بحر الخزر الذى يسد طريق الحافة الشرقية منها، و على اليسر البحر الاسود الذى يسد طريق الحافة الغربية. وترى فى الوسط سلساة جبالها الشاهقة التى صارت جدارا طبيعيا، فلم يكن هنالك منفذ للمهاجرين من الشمال الا مضيق وسطى فى هذا الجبال، يجتازه المهاجمون و يشنون الغارات على البلاد الواقعة وراءه. فبنى غوروش فى هذا المضيق

[126] نفس المرجع

سدا حديديا، و أقفل به الطريق على المغيرين، ولم يأمن أهل سهول قوقاز وحدهم بهذا السد بل أصبح السد بابا مقفلا منيعا لسلامة سائر بلاد آسيا الغربية، فأمنت جميع الشعوب القاطنة فى آسيا الغربية و فى مصر من جهة الشمال.[127]

انظر الخريطة. تجد آسيا الغربية تحتها، وبحر الخزر فوقها، والبحر الاسود على يمينها، وقد سدت جبال القوقاز ما بين البحرين، فهذان البحران وسلسلة جبال القوقاز، أوجدت سدا طبيعيا يمتد الى مئات الاميال. ولم يكن هناك خال فى هذا الجدار الهائل، ينفذ منه شعوب الشمال الا ذلك المضيق، فعمد غوروش اليه و قفله ببناء سد

[127] نفس المرجع

حديدى لا يتسلق عليه ولا ينقب فيه. فكان السد بمثابة باب قد أحكم اقفاله بين آسيا الغربية و البلاد الشمالية.[128]

أما القوم الذين وجدهم ذو القرنين هناكن وكانوا خلوا من العقل، فيحتمل ان يكونوا القوم الذين ذكرهم اليونان باسم "كولش: وذكروا فى لوحة ذاريوش باسم "كوشيا". هؤلاء الذين شكوا الى غوروش هجمات يأجوج و مأجوج، ولما كانوا مجردين من الحضارة وصفهم القرآن بقوله "لايكادون يفقهون قولا" اي لايفهمون الكلام.[129]

أوصاف ذى القرنين الأخلاقية فى القرآن :

---

[128] نفس المرجع، ص. 238
[129] نفس المرجع

والان تأتى أمامنا أوصاف ذى القرنين الأخلاقية التى ذكرها القرآن، فأولها عدله و حبه لرعيته، لنرى الى اي حد ينطبق هذا الوصف على حياة غوروش؟

يخبر القرآن أن الله تعالى قال له فى شأن الذين وجدهم فى الغرب: ((إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنًا)) . اى أصبح هؤلاء فى قبضة يدك فلك أن تعاقبهم أو تعاملهم بالحسنى.[130]

لاشك فى أن هؤلاء كانوا الشعب اليونانى فى ليديا. هاجمه ملكهم كروسس، بدون حق ناسيا العهود و القرابات، ولم يكتف بهجومه، بل حرض عليه جميع الدول القوية المعاصرة. و بعد أن خاب سعيه،

---

[130] نفس المرجع

وعاد كيده فى نحره، كان لغوروش أن يعاقبه على سوء عمله. ولو فعل ذلك لما عوتب فيه، لانه كان له الحق فى ذلك. هذا هو الامر الذى عبر عنه القرآن بقوله : ((إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا)) .[131]

فماذا فعل ذو القرنين؟ أنه قال : بل أعاملهم بالحق، لانى لست من الذين يميلون الى الظلم : ((أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا . وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا)) اى لا أعاتبهم على ما سبق لهم من الشر، بل أعفو عنهم. أجل. من يأت بمنكر بعد هذا فسنال جزاء عمله، ثم يرد الى الله ليعاقبه بما هو أشد و ادهى، وأما من يعمل الخير ويطع

---

[131] نفس المرجع

أمرى، فأجزيه بالحسنى. هذا هو اجمال ما فصله مؤرخو اليونان من سيرة الرجل، وقد قبله مؤرخو العصر الحاضر كحقيقة تاريخية لا مراء فيها.[132]

وقد اتفقت كلمة مؤرخى اليونان على أن ما فعله غوروش بعد فتحه ليديا لم يكن العدل الصرح فحسب، بل كان أكثر من ذلك، كان كله سماحة و مرحمة وكرما ونبلا، فلو عاقب أعدائه، لكان ذلك عدلا لا نهما كانوا جناة مجرمين ولكنه لم يقف عند حدود العدل، بل صعد الى المقام الأعلى من الانسانية الفاضلة.[133]

يقول هيرودتس، أمر غوروش جنوده بألا يرفعوا السلاح على أحد غير المحاربين من

[132] نفس المرجع، ص. 239
[133] نفس المرجع

الأعداء و من يخفض زمحه منهم فلا يقتلوه. أما كروسس، الملك المنهزم، فأمر فى شأنه الا يؤذيه أحد، حتى ولو هاجمه بسلاحه، وقد أطاع الجيش أمره طاعة تامة، حتى لم يشعر عامة الاهالى بويلات الحرب و تغير الملك و السلطان، ولم تتغير حالة االاهالى.[134]

وهنا يجب أن ألا ننسى بأن انتصار غوروش كان هزيمة منكرة لآلهة اليونان، لانها لم تقدر على صون عابدها الخاص، كروسس من المحنة الكبرى.[135]

قال المؤرخون، استخار كروسس الآلهة، قبل اقدامه على الهجوم، وان هاتف ((دلفى)) قد بشره بالفتح المبين، ولما انعكست الاية و انكسرت كروسس، استاء

---

134 نفس المرجع
135 نفس المرجع

اليونانيون، فأخذوا يؤولون و يحاولون أن يجعلوا من هذه الهزيمة الشنيعة فتحا دينيا لآلهتهم. فقد روى هيردوتس ما قاله الناس فى ليديا بعد اندحار ملكهم فزعموا أن هاتف دلفى لم يخطئ و انما أخطأ كروسس فى فهم جوابه لتحمسه الحربى، لأن الهاتف كان قد قال له ((ان هاجم كروسس الفرق، فيدمر مملكة عظيمة)) أى أنه يقضى بهجومه على مملكته العظيمة نفسها، ولكنه أساء الفهم، فظن ان الهاتف بشره بانهيار المملكة الفارسية.[136]

وكذلك زعموا أن غوروش لما أمر باحراق كروسس فوق مصطبة الحطب، تذكر كروسس، وهو فوق المصطبة المشتعلة بالنار قول فيلسوف

---

[136] نفس المرجع

يونانى له فأخذ يبتسم و قد أخبروا غوروش بذلك فتأثر به أيما تأثر و أمر باطفاء النار حالا، ولكن النار كانت قد تأججت وعجز رجال الملك عن اطفائها. فنادا عند ذلك كروسس الاله ((أبولو: وعلى رغم أنه لم يكن على السماء غيوم، فقد أخذ المطر ينهمر، فانطفأت النار فى لمحة من البصر، وانقذ الاله حياة كروسس بعد أن عجز عنه كل البشر.[137]

هذه هى مزاعم القوم، ولكنا حين نرجع الى ما صرح به هيردوتس و زينوفن نعلم الحقيقة. فقد قام كروسس بهجومه بعد أن تقوى قلبه ببشارة آلهة اليونان وقد اشتهرت البشارة قبل بدء الحرب، فأراد

[137] نفس المرجع، ص. 240

غوروش أن يبطل ما اعتقده القوم، ويريهم أن الذين اتخذوهم آلهة، لايستطيعون لهم نصرا، حتى أنهم لا يقدرون على انقاذ من أحبوه و بشروه بالفتح من الاحتراق وهو حى، ولذلك أمر غوروش أولا أن يقعدوه على مصطبة الحطب، ويشعلوا النار فيها، ليرى الناس بأعينهم أن آلهتهم لا قدرة لها، وأنه ليست هنالك معجزة تنقذ ملكهم من النار، بل سيصير رمادا تذروه الرياح. فلما تجلت هذه اللقيقة للعيان، أطفئت النار بأمر الملك ونجا خصمه المكسور من الهلاك. وأن معجزة "أبولو" المزعومة فى اسطورة اليونان لتشير صراحة الى الحقيقة التى أراد غوروش اثباتها بعمله. ولذلك حاول القوم نقضها باختراع هذه المعجزة الواهية الكاذبة.[138]

---

[138] نفس المرجع

وجاء فى القرآن أن ذا القرنين قال: ((وسنقول له من أمرنا يسرا)). اى ان احسن القوم، فسيرون انه ليس فى معاملتى ما يشق عليهم أو يسوءهم. وقد شهد مؤرخو اليونان بأن معاملته كانت كما ذكره القرآن، فقد كان هو للبلاد المغلوبة كله عطفا و مرحمة. وقد نجاهم من كل ما كانوا يئنون تحته من الخراج الثقيل، الضرائب الباهظة التى كان الملوك فى ذلك العصر يفرضونها على الرعية. وقد فتح يسر أوامر غوروش ورحمة قوانينه دورا جديدا للرخاء ورغد العيش للناس قاطبة.[139]

يقول هيردوتس: "كان (غوروش) ملكا كريما، جوادا سمحا للغاية. لم يكن حريصا

---

[139] نفس المرجع

على جمع المال كغيره من الملوك، بل كان حرصا على الكرم والعطاء. يبذل العدل للمظلومين، ويحب كل ما فيه خير البشر".[140]

ويقول زينوفن: "كان ملكا عاقلا، رحيما. همته تفوق عظمته، وجوده يغلب جلالته، خدمة الانسانية شعاره، وبذل العدل للمظلومين دبدنه. حل فيها -مكان الكبر و العجب- التواضع و السماحة".[141]

لقد نشأ الاسكندر الاكبر على يد أرسطاطاليس، ولا ريب أنه كان فاتحا عظيما، ولكن هل فتح زاوية من زوايا الانسانية و الاخلاق؟ لم يوجد لغوروش أرسطاطاليس يعلمه، بل أنه عوضا من المدارس البشرية، نشأ فى مدرسة الفطرة ومع ذلك لم يكتف بتسخير

[140] نفس المرجع، ص. 241
[141] نفس المرجع

البلاد كالاسكندر، بل سخر مملكة الانسانية و الفضيلة كذلك.[142]

ان عمر فتوح الاسكندر لم تجاوز عمر الاسكندر نفسه، ولكن المعاقل التى شيدتها فتوح غوروش، صارعت حوادث الدهر الغلابة قرنين كاملين دون أن يصيبها تلف. ان الاسكندر لم يلفظ أنفاسه الأخيرة، حتى تقطعت أوصال مملكته المفتوحة، ولكن غوروش عندما انتقل من الدنيا، كانت مملكته مستعدة للتوسع و التمكن. لم ينقص فتوحه الا مصر، فأتم النقص ولده، باستيلائه على مصر الخالدة، وبرزت بعد بضع سنين تلك الأمبراطورية العالمية التى لم ير العالم العتيق مثلها وأوربا، وكذلك على مصر و

[142] نفس المرجع، ص. 242

كان على عرشها خلف غوروش، يحكمها وحده بلا منازع![143]

كانت فتوح الاسكندر، فتوحا مادية، بينما فتوح غوروش شملت الجسد و الروح معا. ترفع الأولى رأسها، فلا تقدر على البقاء، بينما تبقى الاخرى غير متزحزحة![144]

المعتقدات المذكورة فى القرآن و غوروش

وآخيرا واهم ما يلفت نظرنا اليه من أوصاف ذى القرنين، هو اخلاصه العبادة لله وحده، وايمانه بالحياة الآخرة. وقد مر بنا ما ذكره القرآن منه، فلنرى الآن هل كان غوروش كما وصف به ذو القرنين؟

---

143 نفس المرجع
144 نفس المرجع

اذا نظرنا الى الشواهد التاريخية، نكاد نقطع بأن غوروش نقطع كان يدين بدين مزديسنا[145] أى انه كان يتبع الدين الذى جاء به زردشت الشهير.[146]

وقد دعا زردشت الى دين "مزديسنا" الى دين التوحيد الذى يحرم الشرك بالله و عبادة الأوثان.[147]

وقد أبطل زردشت جميع معتقدات موغوش، أى المجوس القدماء قائلا: ليس هنالك قوى

---

[145] نفس المرجع، ص. 245

[146] الاسم الصحيح لاسم زردشت فى اللغة البهلوية "زاراتهشترا" حرفه اليونان فقالوا "زارا سترو" والحروف الاخيرة للاسماء البهلوية كالسنسكرتية مهموزة دائما تنطق منصوبة تقريبا، ولا ظهار هذه الحالة النصبية، يكتبون الألف فى اللاتينية الحاضرة، وعلى ذلك ينطق الألف الأخير من "زاراتسترا" بصوت يشبه النصب. وتتبدل تاء الكلمات البهلوية القديمة فى بهلوية العصر الساسانى، بالدال، فمثلا "يزتا" الذى ذكر فى أوستل أصبح فى البهلوية الساسانية "يزدا" ثم حرفوه فقالوا "يزدان" وكذلك "امرتات" كان اسما لملك من الملائكة، و اسما لشهر فارسى كذلك، تغير فى البهلوية الساسانية فأصبح "امرداد" وهذا هو ما وقع لاسم مؤسس الدين الفارسى، فصار "زارادهشترا" ثم صار بكثرة الاستعمال "زردهشت". وحرف العرب "زردهشت" بدروهم فقالوا: "زرتشت" أو "زردشت"

[147] أبو الكلام أزاد، *ويسألونك* ___________، ص. 250

روحية كثيرة للخير، ولا عفاريت كثيرة للشر. بل انما هو اله واحد، اسمه "أهورا مزدا" الذى ليس كمثله شيء، وهو الواحد، الاحد، القدوس الصمد، وهو الحق و النور، وهو الحكيم القادر الخالق الذى لايشاركه فى ملكه وربوبيته شيء. وان القوى الروحية التى زعموها خالقة للخير، ليست بخالقة، بل هى نفسها من خلق أهورا مزدا، وهى تسمى "أمش سبند" (بالباء الفارسية) و "يزتا" أى الملائكة و أنا لنجد فى جزء أوستا الذى يسمى ب "غاتها" أسماء ملائكة عديدة مثل "أشا" و "هوفنا" و "خشترا" و "أرمتى" و "هورونات" و "أمرتا" وكذلك ذكرت أسماء ملائكة أخرى فى الكتب التى تلت أوستا، وقد

سميت الايام و الشهور عند الفرس بأسماء هؤلاء الملائكة.[148]

وكذلك صرح زردشت بأنه ليس للشر اله، بل الذى يأمر بالشر هو "انغرامى نيوش".[149] وقد حرف الاسم، فأخذوا يقولون: "آنرومين" وبعد مدة حرفوه، كذلك، فأصبحوا يقولون: "أهرمن".[150]

وأن من العناصر الاساسية للدين الزردشتى، الاعتقاد بالحياة الاخروية، فهو يقول لا تنتهى حياة الانسان بموته فى هذا العالم المادى، بل له حياة اخرى بعد هذه الحياة الدنيا، فيرى فى تلك الحياة عالمين: عالم السعادة و عالم الشقاء فالذين عملوا

---

[148] نفس المرجع

[149] وهو الشيطان فى لغة الفرس

[150] أبو الكلام أزاد، *ويسألونك* ____________، ص. 250

الصالحات فى حياتهم الدنيا، يدخلون عالم السعادة، والذين دنسوا نفوسهم بالشرور، يدخلون عالم الشقاء.[151]

و الاعتقاد ببقاء الروح من معتقدات دين الزردشتى الاساسية، فهو يقول بفناء الجسم، أما الروح فيبقى بعد الموت ويلاقى الجزاء وفق أعماله.[152]

وأهم ما فى الدين الزردشتى هو قانونه الاخلاقى، فليست الاخلاق فى نظره منفصلة عن الدين، كما كان الأمر عند اليونان، بل هى جزء من الدين، لانفصال بينهما، وكذلك لم يكن الدين عنده شعارا قوميا و اسما لرسوم وعوائد ظاهرية فقط، بل قانونا و نظاما للحياة الفردية. وان طهارة النفس و حسن

151 نفس المرجع
152 نفس المرجع، ص. 251

العمل، لهو المحور الذى تدور عليه تعاليمه الدينية، وهو يطالب بموافقة النية والقول و العمل لهذا القانون موافقة تامة، وهذا القانون يتلخص فى كلمات ثلاثة "هومت، هوخت، هوورشت" أى صدق النية و صدق القول و صدق العمل. و ان دينه، كما قال الأستاذ غرندى "كان دين الحقيقة و العمل، فقد جعل الدين حقيقة حياة الفرس اليومية، وجعل مكارم الأخلاق، عنصرا مركزيا لدينه."[153]

وكان دينه لا تشوبه شائبة من الوثنية، فهو لم يبح عبادة الاصنام فى شكل من الأشكال، وقد مضت على دينه أدوار من التحريف و التبديل، الا أن متبعيه ما زالوا مجتنبين الوثنية. وقد اعترف بذلك

[153] نفس المرجع

"مالكهم" فى كتابه "تاريخ ايران" قائلا: "لم يجنح الفرس من بين الشعوب القديمة الى الوثنية من اى نوع فى دور من أدوار تاريخهم."[154]

عرفت الهند القديمة كذلك التوحيد، ولكن بقى تصوره محصورا فى الخاصة من أهاليها، فاستحسنوا لها الوثنية، أما زردشت، فلم يفرق فى ذاك بين العامة و الخاصة. فظل متبعوه من سائر الطبقات يوحدون الله على السواء. ولا نكون مخطئين ان قلنا: لم يرى التاريخ القديم الا دعوتين تدعوان الى التوحيد فى العالم الوثنى، وهما دعوة ابراهيم عليه السلام من الشعوب

[154] نفس المرجع

السامية، ودعوة زردشت من الشعوب الآرية.[155]